الفصل السادس:
تفضيل واختيار المرأة الجميلة

مقدمة[1]:

الجمال غالبا مبهر للنفس الإنسانية. فهى متعلقة به، وتعبر عنه بكل أنواع التعبير الممكنة. ويتنوع الجمال؛ فقد يكون ماديا، وقد يكون معنويا. فالجمال المادى يتضح في الألوان والأشكال الطبيعية والصناعية. فالطبيعة تحمل الكثير من ألوان الجمال وأشكاله. وقد عبر الإنسان كثيرا عن جمال الطبيعة، وخصوصا الشعراء العرب الذين جعلوا الشعر ديوانا لهم. فقد كانوا يعبرون عن كل شيء هام في حياتهم بالشعر. فهذا شاعر عربى من شعراء العصر العباسى يصف جمال الربيع وأثره على الورود والرياحين، وعلى الإنسان نفسه صاحب الحس المرهف الذي عبر عن ذلك. يقول البحترى:

أتاك الربيع الطلق يختال ضاحكا ::: من الحسن حتى كاد أن يتكلما
وقد نبه النيروز في غسق الدجى ::: أوائل ورد كن بالأمس نوما

وأما الجمال المعنوى فيختلف من شخص لآخر، فما يراه هذا جميلا، قد لا يراه الآخر كذلك، وما يراه الآخر قبيحا، قد يراه غيره جميلا، وهكذا. فمعيار هذا الجمال المعنوى يختلف من إنسان لآخر. وقد يقنع إنسا بجمال مرئىّ، ويقنع آخر بجمال مسموع؛ فقد كان الشعراء القدامى من العرب يصفون الجمال المرئى عند المرأة. فمنهم من يصف عينها، ومنهم من يصف ريقها، ومنهم من يصف

(1) أمثلتها وشواهدها مأخوذة من كتاب تحفة الطلاب في تاريخ الآداب. الطبعة الثانية 1932م من ص45 إلى ص198.

خاصرها. فهذا جرير، على سبيل المثال، يقول واصفا محبوبته ومركزا قوله في عينيها:

إن العيون التي في طرفها حور[1] ::: قتلننا ثم لم يحيين قتلانا
يصرعن ذا اللب حتى لا حراك له ::: وهُنَّ أضعف خلق الله إنسانا[2]

وإذا كانت العين والنظر هما الطريق المعتاد إلى الإعجاب المتبادل بين الرجال والنساء - فإن البعض يعشق بالأذن، فيبرز ما يوضحه الصوت من محاسن صاحبة الصوت، ويميز محبوبة على أخرى بصوتها وطريقتها المسموعة في الكلام، ويفضلها على غيرها. فهذا بشار بن برد يقول:

يا قوم أُذْنِى لبعض الحى عاشقة ::: والأُذْنُ تعْشِق قبل العين أحيانا
قالوا بمن لا ترى تَهْذِى فقلت لهم ::: الأذن كالعين توفى القلب ما كانا

وعلى ذلك يمكن للأذن أن تؤدى نفس الدور الذي تقوم به العين في مجال تمييز المحبوب، ومن تهواه، وما تهواه. ومن هنا اعتبر علماء الإسلام سماع الأغانى النسائية الخليعة ولهجة بعض النساء والبنات الخارجة عن حدود أدب الحديث - من مقدمات الزنى[3] ومحرم مثله..

ولم ينفرد الغزل الفاحش في ساحة الشعر. فقد وجد إلى جانبه الغزل العذرى العفيف الخالى من الإثارة ووصف جوانب الجمال عند المرأة. وقد شكل هذا الغزل العذرى مرحلة انتقال بين ظهور الغزل وانتقاله وبين فتوره وانحساره. وهذا أبو نواس يقول في

(1) إنسان العين: ناظرها أى سوادها الذي تتم الرؤية به.
(2) الحور: شدة بياض العين في شدة سوادها.
(3) وردت كلمة الزنى في القرآن الكريم بالمد بالياء حسب القاعدة اللغوية. لكنها وردت في كثير من كتب الحديث بالمد بالألف. واحتراما لنقل النصوص من كتب الحديث نكتبها فيها كما سجلتها تلك الكتب. ونكتبها في أسلوبنا نحن بالمد بالياء حسب القاعدة اللغوية.

محبوبته قولا خاليا من الألفاظ الفاضحة:

وذاتُ خـــــد مُـــــوَرَّدْ ::: فِضِّـــــيَةَ المتجـــــرد

ومن ذلك أيضا قول ذى الرمة الشاعر المضرى الذي وجد الجمال يكمن في الاستتار فقال في محبوبته:

تمـــامُ الحـــجِّ أن تقـــف المطايـــا ::: على خرقـــاء واضـــعة اللثـــام[1]

وفى قوله دعوة إلى التستر وعدم السفور. فمحبوبته المفضلة تضع اللثام على وجهها لتستره عن أعين الناظرين. ونجد هذا الشاعر نفسه عندما يحس بقرب وفاته يرجع إلى ربه ويسأله سبحانه أن يزحزحه عن النار فيقول:

يا قابض الروح عن نفسى إذا احتضرت ::: وغافر الذنب زحزحنى عن النـــار

ومن تلك المقدمة ندرك أن الإسلام قد بدأ يتغلغل بتعاليمه في نفوس العرب المسلمين. فإذا بهم في النهاية يعرضون عن هذا الغزل الفاضح بل يتركون الغزل بكافة أشكاله وينصرفون إلى أغراض أخرى كثيرة، كانت أنفع لهم ولغيرهم من الناس. ووجدنا كثيرا من الشعراء الذين عاصروا بداية الإسلام يتأثرون بتعاليمه النافعة وينعكس تأثرهم بها على شعرهم. كما فعل ذو الرمة السابق ذكره فقد اقتبس من القرآن الكريم ما جمل به شعره، فقوله في بيته السابق: " زحزحنى عن النار " - متأثر بقوله تعالى:{فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ } [آل عمران: ١٨٥] الآية. بل إن كثيرا من الشعراء قد انصرفوا عن الشعر وخصوصا بعد أن اقتنعوا بصدق الله عز وجل في وصف الشعراء بقوله تعالى:{وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ

(1) الحج: القصد - خرقاء: غير ماهرة في السفور فهى تضع اللثام على وجهها. والمتجرد: الجسم.

﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾} [الشعراء: ٢٢٤ - ٢٢٧]. وبذلك حلت قوة إيمان المؤمن والتزامه بتعاليم الدين الإسلامى وتوجيهاته - محل التأثر بالشعر وشطحاته التي قد تبعد الإنسان عن الإيمان بالله ورسوله وعن الأخلاق الفاضلة التي يجب التحلى بها وبعد أن كان الشاعر يوجه نظراته الفاحصة النافذة إلى المرأة فيصف كل مواطن الجمال فيها - أصبح كثير من الناس يلتمسون نصائح وإرشادات الإسلام في هذا المجال بعد الاقتناع برسالة الإسلام العادلة النافعة..

وقد حذر الإسلام - قرآنا وسنة - من تتبع النساء والبنات بالنظرات. ووضع لأتباعه من الشباب وغيرهم برنامجا مباركا لتجنب الزنى ومقدماته التي أولها النظرة النافذة. والمرجو أن يسير كل مسلم ومسلمة حسب هذا البرنامج وتوجيهاته، حتى ينجو الجميع من هذا الخطر المدمر، خطر الوقوع في الزنى والبعد عن تعاليم الإسلام وإرشاداته.

ففى القرآن الكريم يحذرنا ربنا وخالقنا جل شأنه من تتابع النظر إلى النساء والبنات. فإذا كانت النظرة الأولى تأتى في الغالب عفوا - فإن النظرة الثانية وما بعدها تدل على الإصرار على المخالفة والسير في بداية طريق الخطيئة. والأوْلى أن يغض المؤمن بصره، وتغض المؤمنة بصرها. وفى هذا يقول ربنا الكريم: {قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ

ءَابَآئِهِنَّ أَوۡ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوۡ أَبۡنَآئِهِنَّ أَوۡ أَبۡنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوۡ إِخۡوَٰنِهِنَّ أَوۡ بَنِيٓ إِخۡوَٰنِهِنَّ أَوۡ بَنِيٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوۡ نِسَآئِهِنَّ أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُنَّ أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ غَيۡرِ أُوْلِي ٱلۡإِرۡبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ أَوِ ٱلطِّفۡلِ ٱلَّذِينَ لَمۡ يَظۡهَرُواْ عَلَىٰ عَوۡرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ وَلَا يَضۡرِبۡنَ بِأَرۡجُلِهِنَّ لِيُعۡلَمَ مَا يُخۡفِينَ مِن زِينَتِهِنَّۚ وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿٣١﴾} [النور: ٣٠ - ٣١]. فبالإضافة إلى الأمر الموجه إلى النساء بغض البصر وعدم إبداء زينتهن للرجال إلا الظاهر منها فقط - أمرهن العزيز الكريم بإلقاء خمرهن - وهى أغطية رءوسهن - على صدورهن لئلا يبدو شيء من النحر والصدر فيطمع الذي في قلبه مرض. فعن عائشة رضى الله عنها: أنها قالت: " يرحم الله النساء المهاجرات الأوَل لما أنزل الله{وَلۡيَضۡرِبۡنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ} شققن مروطهن فاختمرن بها " [1]. قال المفسرون: " كانت المرأة في الجاهلية - كما هى اليوم في الجاهلية الحديثة - تمر بين الرجال مكشوفة الصدر، وبادية النحر، حاسرة الذراعين، وربما أظهرت مفاتن جسمها وذوائب شعرها لتغرى الرجال، وكن يسدلن الخمر من ورائهن فتبقى صدورهن مكشوفة عارية، فأُمِرَت المؤمنات بأن يلقينها من قدامهن حتى يغطينها ويدفعن عنهن شر الأشرار " [2].

وقد لاحظنا ولاحظتم معنا في الآيتين الكريمتين السابقتين أن أمْر النساء بحفظ فروجهن مسبوق بأمر بغض البصر من الرجال والنساء على حد سواء. وبالإضافة إلى ذلك أمر النساء المؤمنات بألا يبدين زينتهن الخفية إلا لمحارمهن المذكورين في الآية الثانية وهم اثنا

(1) أخرجه البخارى ص17من القسم العاشر من كتاب صفوة التفاسير - تفسير سورة النور - المروط: جمع مِرط وهو كساء من خز أو صوف أو كتان تتلفع به المرأة.

(2) نفس الصفحة من المرجع السابق. النحر: أسفل الرقبة من الأمام - حاسرة: مكشوفة - ذوائب الشعر: الشعر المحاذى للأذنين - يسدلن: يلقون.

عشر محرما. وهؤلاء المحارم المصرح لهم بجواز النظر إلى زينة المرأة الخافية عن النظر وليس إلى شيء من عورتها كما قد يظن البعض - هم: الأزواج، وآباء الزوجات، وآباء الأزواج، وأبناء الزوجات، وأبناء الأزواج، وإخوة الزوجات، وأبنائهن، وأبناء أخوات الزوجات، ونسائهن المسلمات وليست المشركات، وما ملكت أيمانهن من الإماء المشركات لأنهن إماءهن، والخُدَّام غير أولى الميل والشهوة والحاجة إلى النساء كالبله والحمقى والمغفلين الذين لا يدركون من أمور الجنس شيئا. قال مجاهد: هو الأبله الذي يريد الطعام ولا يريد النساء ولا يهمه إلا بطنه، والأطفال الصغار الذين لم يبلغوا حد الشهوة ولا يعرفون أمور الجماع لصغرهم[1].. ويقول الرحمن الرحيم سبحانه:{يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ يُدۡنِينَ عَلَيۡهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّۚ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَن يُعۡرَفۡنَ فَلَا يُؤۡذَيۡنَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ٥٩} [الأحزاب: ٥٩]. وفى الآية الكريمة أمر لنساء المؤمنين أن يلبسن الجلباب الواسع (العباءة) الذي يستر محاسنهن وزينتهن ويميزهن عن نساء الجاهلية.

روى الطبرى عن ابن عباس أنه قال في هذه الآية: " أمر الله نساء المؤمنين إذا خرجن من بيوتهن في حاجة أن يغطين وجوههن من فوق رءوسهن بالجلابيب ويبدين عينا واحدة " [2].. وكانت البغايا في الجاهلية تلبسن الثياب القصيرة الضيقة المبينة لمفاتن أجسادهن فينجذب إليهن أمثالهن من الشباب والرجال الذين يميلون إلى فعل الفاحشة. فلما جاء الإسلام حذر المسلمات من ذلك، وأمر

(1) نفس الصفحة من المرجع السابق.
(2) ص72من القسم12من كتاب صفوة التفاسير - سورة الأحزاب - للشيخ المرحوم محمد على الصابونى بتصرف.

المسلمين ألا تخرج نساؤهم وبناتهم إلى الشوارع والطرقات بهذه الصورة الخبيثة المزرية، حتى لا يقعن في قبضة الشيطان وأعوانه المزينين للزنى[1]..

وقد حرّم الله الزنى بكافة صوره وأشكاله كما حرم مقدماته، ومن أهم هذه المقدمات النظرة النافذة التي تتكرر من التعساء وتوقعهم في دائرة الخطر. فهذه النظرة محظورة لأنها عادة ما يتبعها ابتسامة فسلام فكلام فموعد فلقاء. وهذا اللقاء غير الشرعى يمثل خطورة قصوى على مستقبل الرجل والمرأة والشاب والفتاة. فتلك النظرة المشار إليها محظورة كالقبلة وكالاستغراق في التفكير في المحاسن المرئية للمرأة أو البنت، وكتمنى أو تخيل الجماع بين الناظر والمنظورة وكسماع صوت الأنثى الخليع والاستمتاع به وبطريقتها الخليعة في الكلام وكاقتناء الصور العارية للنساء والفتيات التي تنشرها بعض الصحف الأجنبية وبعض المجلات الخليعة. فاقتناء كل ذلك من مقدمات الزنى.

وقد حرمه الإسلام كما حرم الزنى. وقد ورد هذا التحريم في قوله تعالى:{ وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا } [الإسراء: ٣٢]. فالاقتراب من الزنى يكون بفعل مقدماته التي تحدثنا عنها وهى محرمة بتحريمه...

وفى مجال السنة النبوية المباركة نجد رسول الله صلى الله عليه وسلم يحذر الشباب والشابات المسلمين والمسلمات من مقدمات الزنى للابتعاد عنها كخطوة هامة على طريق الامتناع عن الزنى، فيقول صلى الله عليه وسلم :♂**إن الله كتب على ابن آدم حظه من الزنا أدرك ذلك لا محالة. فزنا العين النظر، وزنا اللسان المنطق، والنفس تتمنى**

(1) نفس الصفحة من المصدر السابق.

وتشتهى، والفرج يصدق ذلك كله ويكذبه [1]. وبالقياس يمكن القول: وزنى الأذن السماع.

ويرسم لنا الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم طريق النجاة من هذا الخطر الداهم فينبه من لا يملك باءة الزواج إلى الطريق المفيد، فيقول صلى الله عليه وسلم : ♂**يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء** [2].. ونظرا لأن المتزوج نفسه قد يقع في هذا الخطأ الممقوت - نجد الرسول صلى الله عليه وسلم الحريص على سلامة أمته من هذا الزلل - يتابع إرشاد المسلمين المتزوجين إلى الطريق المنجى من هذا المنزلق الخطير، فيقول صلى الله عليه وسلم :♂**إذا رأى أحدكم امرأة حسناء فأعجبته فليأت أهله، فإن البضع واحد ومعها مثل الذي معها** [3] وفى رواية أخرى يقول النبى صلى الله عليه وسلم :♂**إن المرأة تقبل في صورة شيطان وتدبر في صورة شيطان، فإذا رأى أحدكم امرأة فأعجبته فليأت أهله، فإن ذلك يرد ما في نفسه**[4]. وقد روى جابر رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم رأى امرأة، فدخل على زينب فقضى حاجته وخرج وقال صلى الله عليه وسلم :♂**إن المرأة إذا أقبلت أقبلت بصورة شيطان، فإذا رأى أحدكم امرأة فأعجبته، فليأت أهله، فإن معها مثل الذي معها** [5]. ويكمل لنا الرسول الإنسان صلى الله عليه

(1) أخرجه البخارى عن أبى هريرة عن النبى ◘ في كتاب الاستئذان - باب زنا الجوارح دون الفرج ص225 من ج3 من صحيح البخارى.

(2) رواه الجماعة حرف الياء ص160 من كتاب مختار الأحاديث النبوية - للشيخ المرحوم السيد أحمد الهاشمى - الباءة: مصاريف الزواج ومستلزماته ومسؤلياته - وجاء: حافظ.

(3) رواه الخطيب عن عمر ص13، من مختار الأحاديث النبوية.

(4) رواه مسلم ص23من المصدر السابق.

(5) رواه مسلم والترمذى واللفظ له وقال حسن صحيح ص33، من كتاب الزواج الإسلامى

وسلم طريق السلامة من الافتنان بالنظر إلى النساء فيقول صلى الله عليه وسلم :♂**ما من مسلم ينظر إلى امرأة أول رمقة ثم يغض بصره إلا أحدث الله له عبادة يجد حلاوتها في قلبه**═ [1].

كما يحذرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم من النساء اللاتى يلفتن أنظار الرجال والشباب بتبرجهن وملابسهن الفاضحة فيقعون في شباك الخطيئة فيفتِنَّ الرجال والشباب ويفتَتِنَّ بهم. ويكون مصير هؤلاء وأولئك إلى النار وبئس المصير، فيقول صلى الله عليه وسلم :♂**صنفان من أهل النار لم أرهما بعد: قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس. ونساء كاسيات عاريات مائلات مميلات. رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة. لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها. وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا**═[2]..

وفى رواية:♂**وإن ريحها يوجد من مسيرة خمسمائة سنة**═ [3]. كما حذرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم من صنف من النساء تبدو إحداهن جميلة لكن منبتها منبت سوء نشأت وتربت في بيت سوء. وقدسبق أن ذكرنا حديثه صلى الله عليه وسلم في هذا الشأن.♂**إياكم وخضراء الدمن**═، قالوا وما خضراء الدمن يا رسول الله؟ قال:♂**المرأة الحسناء في المنبت السوء**═..

وللاحتياط والحذر من مقدمات الزنى المؤدية إليه - يحذر صلوات الله وسلامه عليه المسلمين والمسلمات من عدة أمور تُدْخِلُ فاعِلَها في محيط مقدمات الزنى. وذلك حتى يحتاط المسلمون جميعا

السعيد - لأبى حامد الغزالى تحقيق محمد عثمان الخشت - يونيو 1984م.

(1) رواه أحمد ص34، من كتاب مختار الأحاديث النبوية.

(2) رواه أحمد عن أبى هريرة ص90 - حرف الصاد - من كتاب مختار الأحاديث النبوية - البخت: النياق.

(3) موطأ مالك ص569 - الشعبية.

من خطر هذا الداء العضال. ومما ورد في ذلك: " نهى صلى الله عليه وسلم أن تُكلَّمَ النساءُ إلا بإذن أزواجهن " [1]. حتى لا يتدخل الشيطان بين الرجل والمرأة إذا رآهما منفردين.. كما يحذر المصطفى صلى الله عليه وسلم المسلمين والمسلمات من أن يتمطى الرجل عند نساء غير زوجته منعا لتدخل الشيطان الرجيم. وقد ورد نهيه صلى الله عليه وسلم عن ذلك فيما رواه الدارقطنى عن أبى هريرة: " نهى صلى الله عليه وسلم أن يتمطى الرجل في الصلاة، أو عند النساء إلا عند امرأته " [2]. ومن هذا القبيل تحذير النبى صلى الله عليه وسلم لعامة المسلمين من الجلوس في الطرقات وتصويب النظر إلى الرائحات والغاديات في قوله صلى الله عليه وسلم :♂**إياكم والجلوس على الطرقات**ـــ، قالوا: ما لنا بد. إنما هى مجالسنا نتحدث فيها، قال:♂**فإذا أبيتم إلا المجالس فأعطوا الطريق حقها**ـــ، قالوا: وما حق الطريق؟ قال:♂**غض البصر، وكف الأذى، ورد السلام، وأمر بالمعروف، ونهى عن المنكر**ـــ [3]..

وهذا البرنامج الإسلامى المتكامل للقرآن الكريم والسنة النبوية المباركة والذى تحدثنا عنه وأوردنا الأدلة من القرآن والسنة على وجوب الالتزام به - يشكل حاجزا منيعا للمسلم والمسلمة عن الوقوع في الزنى نتيجة النظر والتعمق والتفكر فيما وراء جمال المرأة ومفاتنها. وهو في الوقت نفسه مساهمة إيجابية لإشاعة جو السعادة والاستقرار في الأسرة المسلمة، لو اتبعت التوجيهات السابقة ونفذتها كما أمر الله سبحانه وتعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم.

(1) رواه الطبرانى ص34 - من مختار الأحاديث النبوية.
(2) ص154من مختار الأحاديث النبوية.
(3) رواه البخارى ص52، 53 - من مختار الأحاديث.

وبعد كل التوجيهات والتحذيرات الواردة في نطاق البرنامج الإسلامى في الكتاب والسنة لعدم التورط في الزنى، بالوقوع في مقدماته المحرمة مثله، نقول: إن اختيار المرأة الجميلة للزواج، لا بأس به، إذا اقترن جمال المرأة بالتزامها بمبادئ الدين الإسلامى وتوجيهاته السامية بالإضافة إلى أخلاقها الحميدة المقتبسة من كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم. وإذن فجمال المرأة وحده لا يكفى لتكوين أسرة سعيدة. لأنه سينتهى، شأنه شأن كل المتع في الحياة الدنيا. فلابد مع الجمال من التحلى بمبادئ الدين الإسلامى الحنيف وتوجيهاته في شتى الميادين، ولابد كذلك من التزين بالأخلاق الحميدة التي يدعو إليها الإسلام. وهذا هو ما يعرف بالجمال المعنوى، جمال الروح.

والنفس المسلمة تتأثر بجمال المبادئ الإسلامية فتأخذ بما فيها من توجيهات وإرشادات، تحد من الشهوة وتوجهها توجيها صحيحا ينفع ولا يضر. وبهذا يتم التفاعل بين الجمال الخِلْقى والجمال الخُلُقى. فالمرأة المتمسكة بمبادئ الإسلام وتوجيهاته - سيكون إسلامها وإيمانها وأخلاقها الحميدة والتزامها بما تدعو إليه هذه التوجيهات والمبادئ - حافزا لها على الاعتدال في أقوالها وأفعالها وأدائها لوظيفتها كزوجة مسلمة وربة بيت مسلم. فهى راعية في بيت زوجها ومسئولة عن رعيتها. تؤدى حق زوجها وحقوق أولادها وبناتها خير الأداء. ولهذا يقول النبى صلى الله عليه وسلم :♂**إذا تزوج الرجل المرأة لدينها وجمالها كان فيها سداد من عوز**ـــ [1]. أى أنه لا بأس بجمال المرأة الزوجة مع تمسكها بدينها الإسلامى الذي يوجه

(1) أخرجه الشيرازى في الألقاب عن ابن عباس عن أبى سعيد الخدرى ص63، من كتاب الزوجة المسلمة والبيت السعيد - للأستاذ عبد العزيز الشناوى.

أقوالها وأفعالها وجهة إسلامية نافعة. كما يشير الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم إلى أمر هام في هذا المجال، وهو ألا يفضل جمال المرأة على دينها لأن الزواج لو قام على ذلك كان تصرفا دنيويا لا نصيب فيه من العمل من أجل الدار الآخرة. حيث يكون تصرف الزوجة حينئذ غير مأمون، وذلك لاحتمال عدم التزامها بالدين الإسلامى وتوجيهاته وأخلاقياته. فالالتزام بمبادئ الدين الإسلامى يزن تصرفات الزوجة ويجعلها دائما نافعة غير ضارة. ولهذا نجد رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ♂**لا يُخْتَارُ حسن وجه المرأة على حسن دينها**♀ [1]. أى يجب أن يتم اختيار الزوجة بحيث لا يتفوق على تدينها وأخلاقها الحميدة جمال ولا غنى ولا حسب ولا غير ذلك من الأمور المفضلة دنيويا.. وفى حسن الوجه والجمال المادى مع الالتزام بالدين والأخلاق الفاضلة يقول الشيخ أبو حامد الغزالى: " إذا كانت المرأة حسناء خيرة الأخلاق محبة لزوجها قاصرة الطرف عليه، فهى على صورة الحور العين سوداء الحدقة والشعر كبيرة العين بيضاء اللونَ. فإن الله وصف نساء أهل الجنة بهذه الصفة[2]، في قوله تعالى:{فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ} [الرحمن: ٧٠]، وفى قوله تعالى:{فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ} [الرحمن: ٥٦]، وفى قوله تعالى:{عُرُبًا أَتْرَابًا ﴿٣٧﴾} [الواقعة: ٣٧].. فالحور العين نساء صالحات كريمات الأخلاق، حسان الوجوه. وهن نساء قصرن النظر بأعينهن على أزواجهن فلا يرين غيرهم كما هو حال المخدرات العفائف. وهن متحببات لأزواجهن عاشقات لهم، يشتهينهم دائما. وهن كذلك مستويات في السن.. فإذا عثر زوج سعيد على زوجة تجتمع فيها هذه

(1) رواه الديلمى عن عباده بن الصامت. نفس الصفحة من المصدر السابق.
(2) انظر ص65 من كتاب الزواج الإسلامى السعيد - للشيخ أبى حامد الغزالى - تحقيق محمد عثمان الخشت - يونيو 1984م.

الصفات أو غالبيتها - فلا شك أنه سَيُكَوِّنُ أسرة سعيدة معها.. وإذا فضل المقبل على الزواج المال والحسب على الدين - فإن النتيجة ستكون فشلا وضياعا وتعاسة. وإذن فالنتيجة الحتمية للزواج من امرأة يزيد مالها وحسبها وجمالها على دينها - هى الفقر والذل والدناءة. لأن الدين قوام الحياة الزوجية وقوام سعادتها وبقائها حتى الأجل المحدود عند الله تبارك وتعالى.

ومن أجل ذلك يحذرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم من هذه النتيجة العكسية غير المطلوبة، فيقول صلى الله عليه وسلم :♂**لا تزوجوا النساء لحسنهن، فعسى حسنهن أن يرديهن، ولا تزوجوهن لأموالهن، فعسى أموالهن أن تطغيهن ولكن تزوجوهن على الدين، ولأمة سوداء ذات دين أفضل**ـــ [1]. ويقول صلى الله عليه وسلم أيضا:♂**من تزوج امرأة لعزها لم يزده الله إلا ذلا. ومن تزوجها لمالها لم يزده الله إلا فقرا، ومن تزوجها لحسبها لم يزده الله إلا دناءة، ومن تزوج امرأة لم يرد بها إلا أن يغض بصره، أويحصن فرجه، أو يصل رحمه بارك الله له فيها وبارك لها فيه**ـــ [2]. هذا ويجب أن يؤخذ في الاعتبار أن المرأة فضلت الرجل وفاقت عليه في اللذة والحياء. فاللذة عندها أكبر، والحياء عندها أكثر. وفى هذا يقول النبى صلى الله عليه وسلم :♂**فضلت المرأة على الرجل بتسعة وتسعين جزءا من اللذة، ولكن الله ألقى عليهن الحياء**ـــ [3]. والمرأة المسلمة تستغل هذا الحياء وتستفيد منه في الحفاظ على زوجها وأولادها وبناتها والأسرة الإسلامية التي ترعاها. فهى تتخذ

(1) رواه البيهقى في السنن ص362 - من منهج السنة في الزواج ابن حجر عن ابن ماجه في السنن.

(2) رواه ابن حبان من حديث أنس وله شاهد من رواية ابن ماجه. ص66، 67من كتاب منهج السنة في الزواج - للدكتور محمد الأحمدى أبو النور.

(3) رواه البيهقى عن أبى هريرة ص103 - من كتاب مختار الأحاديث النبوية.

زوجها حائلا دون وقوعها في حبائل الشيطان الرجيم، كما يتخذها زوجها حائلا دون وقوعه فيما حرمه الله عز وجل نتيجة النظرة غير الشرعية وما يترتب عليها من آثام.. وهكذا يكون حياء الزوجين سببا من أسباب سعادتهما في حياتهما الزوجية وفى تكوين أسرة سعيدة تضم أبناء سعداء وبنات سعيدات. وتكون بذلك قدوة لغيرها من الأسر المسلمة...

* * *